International Journal of Advanced Engineering Research and Science (IJAERS)
Peer-Reviewed Journal
ISSN: 2349-6495(P) | 2456-1908(O)
Vol-10, Issue-10; Oct, 2023
Journal Home Page Available: https://ijaers.com/
Article DOI:https://dx.doi.org/10.22161/ijaers.1010.5

التجريد في بلاد المغارب على يد اللص والمحارب

Dispossession in the Maghreb at the hands of the thief and the warrior

الباحث1: يونس شيكرYOUNESS CHIGUER أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي، دكتوراه تخصص التاريخ الوسيط. مختبر التاريخ والمجتمع في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل ـ القنيطرة، المغرب، 0668993920 Chiguer.youness78@gmail.com

الباحث 2: مصطفى شيكر MUSTAPHA CHIGUER، ذ. الثانوي التأهيلي، دكتوراه تخصص جغرافية الأرياف والإعداد، مختبر إعداد المجال والتربية الترابية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب. 0675353221، chiguermustapha74@gmail.com

Received: 15 Aug 2023,

Receive in revised form: 20 Sep 2023,

Accepted: 30 Sep 2023,

Available online: 08 Oct 2023

©2023 The Author(s). Published by AI Publication. This is an open access article under the CC BY license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

***Keywords*— abstraction - thieves - bandits - Islamic Maghreb - the Middle Ages – society.**

الكلمات المفاتيح: التجريد ـ اللصوص ـ قطاع الطرق ـ المغرب الإسلامي ـ العصر الوسيط ـ المجتمع

Abstract*—*Through this research, we are trying to study one of the aspects of suffering that the Islamic Maghreb society experienced during the Middle Ages in its relationship with the class of thieves and bandits. In addition to the fear for lives and money from falling under the swords of thieves and warriors, Through this article, we seek to shed light on another act associated with banditry and banditry, which is stripping stolen victims of their clothes. And to investigate the motives of this behavior, some of its manifestations and repercussions, and the various reactions that resulted from it. Let us contribute, even if just a little, to revealing some of the dangers of the road that threatened the traveler as he went and came on the roads and paths of the Islamic Maghreb during the Middle Ages.

ملخص

نحاول من خلال هذا البحث دراسة واحدة من أوجه المعاناة التي عاشها مجتمع المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط في علاقته بفئة اللصوص وقطاع الطرق، فبالإضافة إلى الخوف على الأرواح والأموال من الوقوع تحت سيوف اللصوص والمحاربين، نسعى من خلال هذا المقال تسليط الضوء على فعل آخر اقترن بعملية اللصوصية وقطع الطرق ألا وهو تجريد الضحايا المسروقين من ثيابهم، وتقصي دوافع هذا السلوك وبعض تجلياته وانعكاساته وما كان ينتج إزاءه من ردود أفعال مختلفة، علّنا نسهم ولو بنزر يسير في الكشف عن بعض مخاطر الطريق التي كانت تتهدد المسافر خلال ذهابه وإقباله في طرقات ومسالك المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط.

تقديم

لقد شكلت اللصوصية وقطع الطرق إحدى مصادر الرّعب الذي ظل يهدد وجود الإنسان واستقراره على مرّ الأزمنة والعصور، وتظهر مخاطرها من خلال فظاعة الجرائم التي كان يقترفها اللصوص ومنها "شهر السلاح، وقطع

ضوء هذه الأحداث نتساءل كذلك عن أوجه المعاناة لدى مجتمع هذه المرحلة أمام الخوف من التجريد على يد اللصوص.

2- حدود البحث

1- تأطير زمان ومكان البحث

- **العصر الوسيط .**

هو الحقبة الزمنية المخصوصة بدراسة موضوع اللصوصية وقطع الطرق في هذا البحث، ومراقبة فعلها وتجلياتها، لكن ونحن نستعمل مفهوم العصر الوسيط في هذا البحث لا بد من استحضار الجدل الذي يطرحه تحديد هذه الحقبة بين المختصين في التاريخ عموما، والمهتمين بالتحقيب ومعاييره بوجه خاص، حيث يصعب إيجاد معايير تحظى بإجماع الباحثين حول مسألة التحقيب، نظرا لتعقدها، وبالتالي يصعب العثور على تحديد دقيق لفترة زمنية أطلق عليها العصر الوسيط، ذلك أن هذه الفترة في التاريخ الأوربي، تختلف عن نظيرتها في العالم الإسلامي عموما وفي جزئه الغربي بوجه خاص، لأن لكل رقعة جغرافية خصوصياتها الحضارية والاجتماعية، إلا أن العصر الوسيط الذي سنهتم بدراسته هنا هو "العصر الوسيط ألمغاربي" الذي "ينطلق من الفتح الإسلامي للمنطقة في القرن الأول الهجري، بما يحمله دخول الإسلام إليها من قيم ومبادئ سامية أحدثت خلخلة في المجتمع ألمغاربي وبنياته، وينتهي باحتلال البرتغال لسبته في مطلع القرن 9هـ/15م"،[4] حيث بدأ التفوق الأوربي الغربي مقابل انكماش حضارة الغرب الإسلامي وانقسامها وانحصارها في شمال إفريقيا، بعد "سقوط بلاد الأندلس وسقوط بعض المراكز الساحلية المغاربة في يد الإسبان والبرتغاليين،"[5] ليستمر هذا التفوق الأوربي التجاري خلال العصر الحديث، ثم الصناعي خلال الحقبة المعاصرة، ثم الغزو العسكري والهيمنة الاستعمارية الأوربية على دول المنطقة إلى يومنا هذا.

- **المغرب الإسلامي.**

هو المكان الذي يهدف هذا العمل إلى كشف تاريخ اللصوصية وقطع الطرق فيه، وقد كان يطلق لفظ "المغرب عند الجغرافيين والمؤرخين المسلمين على كل المنطقة الممتدة غرب بلاد المشرق"[6]، أي أن العالم الإسلامي يضم مشرقا ومغربا وهذا الأخير يشكل الجزء الذي "يقابل المشرق من البلاد الإسلامية، ومن هنا أدخل فيه بعض المؤلفين مصر والأندلس، وقصره آخرون كابن عذاري على المغرب الحالي وأخرج منه الأندلس"[7] ،وإذا كان الجغارفة والمؤرخون قد اختلفوا في إعطاء تحديد جغرافي دقيق لهذه المنطقة، فإن

[3] - حول تدبير اللباس عند بعض الفئات الفقيرة والمهمشة، أنظر ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تح أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 2، 1997م، ص. 110، 198، 277، 423، 477، ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط، ط 2، 1420 هـ/ 1999م، ص. 351. الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ج 1، 2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 2، 1983م، ج 1، ص. 263، 359.

[4] - مصطفى نشاط، جوانب من تاريخ المشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات الزمن، 2006م، ص. 5.

[5] – أحمد عزاوي، مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي، ج 1، دار ربا نيت، ط 3، 1433هـ / 2012م، ص. 11.

[6]– ن م، ص. 13.

[7]- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ص. 41.

الطريق، وأخذ الأموال، وقتل النفوس، ومنع السابلة"[1]، وقد اعتبرت هذه السلوكات العدوانية حسب بروديل واحدة من سمات وعادات شعوب حوض المتوسط وذلك منذ أزمنة غابرة، وهي ليست وليدة القرنين 16م -17م حين صارت تشكل ظاهرة عامة في دول البحر الأبيض المتوسط كافة، حسب نفس المؤرخ[2]، ومن أوجه تلك المخاطر والمعاناة التي طالت مجتمع المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط على يد اللصوص والمحاربين، بالإضافة إلى سرقة الأموال بمختلف أنواعها، والاعتداء على النفوس والأرواح بالضرب والجرح حينا والقتل والاسترقاق أحينا، كان التجريد من الثياب هو مصير جل من وقع في يد اللصوص وقطاع الطرق في بلاد المغارب خلال العصر الوسيط.

ومعلوم أن اللباس ــ إلى جانب الطعام والسكن ــ ظل يكتسي أهمية قصوى في حياة البشر كيفما كان انتماؤهم الاجتماعي وعلى مر العصور، وقد أجهد الإنسان نفسه في تحصيل هذه الضروريات الثلاث والحفاظ عليها والعمل على ادخارها، وتزداد مكانة وأهمية الأثواب والألبسة كلما نكصنا نحو العصور الوسطى والقديمة، حينما كانت إكراهات الجو من برودة قاسية أو حرارة مفرطة، تواجَه بقلة الإمكانات والتجهيزات والوسائل الواقية من وقع الظروف الطبيعية وقسوتها، ومنها قلة الأثواب من أغطية ولباس[3]، ورداءتها وضعف جودتها مقارنة بالفترة الحديثة والمعاصرة من تاريخ البشرية، التي عرفت ظهور الآلة، خاصة بعد الثورة الصناعية.

أولا: الإطار النظري والمنهجي

1- إشكالية البحث

يروم هذا البحث تقديم بعض الإجابات الأولية حول إشكالية قديمة ـ حديثة، ويتعلق الأمر بأهمية اللباس في حياة الناس عموما وإنسان المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط بوجه خاص، ومن تم كيف دبر مجتمع المرحلة قيد الدراسة هذا اللباس ثم كيف حافظ عليه؟ وبقدر ما كان اللباس مهما في حياة العامة والخاصة من ذاك المجتمع فقد كان مهما كذلك بالنسبة لفئة مهمشة من المجتمع والتي من ضمنها فئة اللصوص وقطاع الطرق، هذه الفئة التي أعوزها الحال تدبير لباسها كما قوتها بالوجوه الشرعية من الكسب فلجأت إلى طرق المعاش غير المشروعة ومنها النهب والسلب والاختلاس، وبالتالي كيف شكل اللباس أعز ما يطلب عند اللصوص خلال الفترة قيد الدراسة؟ حيث غالبا ما اقترنت حوادث السرقة وقطع الطرق بتجريد المسروقين من ثيابهم، وعلى

[1] - الماوردي أبو الحسن بن محمد ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978، ص.62.

وقد يرد في المصادر التاريخية ما يحيل على معنى قطع الطريق، مثل قول ابن خلدون أن " معاش أهل الانتجاع والإظعان، في نتاج الإبل وظلال الرماح وقطع السابلة " ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، م 6، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت لبنان، 1983م، ص. 176. كما نجد عبارة "يفسدون السابلة ويقطعون على الرفاق ،"ن م، ص. 27. ويقول الماوردي عن قطاع الطرق: "فهم المحاربون الذين قال الله تعالى فيهم: [إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض] (سورة المائدة)"، الماوردي، ن م، ن ص. والمحارب هو كل "من قاتل على أخذ المال بأي نوع من أنواع القتال، فهو المحارب هو المجاهر بالقتال"، ابن تيمية تقي الدين، السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الكتاب العربي، 1969، ص. 78

[2] - F. BRAUDEL, **La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philipe 2**, 2t, Armand Coline, Paris, 1970, p. 83- 85.

عن جماعات ممن احترف قطع الطريق أنهم "يتربصون في الكمائن، حتى إذا مرّ بهم مسافر خرجوا وجردوه من المال والثياب"[13]، وكذلك حديثه عن جماعات من البدو أصحاب النجعة في "الصحاري الواقعة بين بلاد البربر ومصر[كانوا] يجردون كل غريب وقع بين أيديهم"[14]، وهو نفس الوصف الذي نعث به اللصوص والمحاربين في صحراء برقة، والذين "يجردون الحجاج المساكين وأبناء السبيل من ثيابهم"[15]، وغيرها من الأمثلة كثير كما سنقف على ذلك في متن هذه الدراسة.

الحرابة: هي "كل فعل يقصد به أخذ المال على وجه يتعذر معه الاستغاثة عادة، كإشهار السلاح، والخنق، وسقي السيكران (البنج) لأخذ المال"[16]، وهي الكلمة الأكثر استعمالا في كتابات العصر الوسيط للدلالة على قطع الطريق، وبهذا المعنى ترد في المصادر التاريخية؛[17] أي أن فعل الحرابة يقتضي شهر السلاح وقطع الطرق، ليس بهدف سفك الدماء وإنما قصد أخذ المال، لكن قد يصاحبها أحيانا إزهاق للأرواح، في صفوف الجانبين.

المحارب: اسم فاعل من فعل حارب ومصدره حرابة كما سبق وبيناه، وهو "القاطع للطريق، المخيف للسبيل، الشاهر للسلاح لطلب المال، فإن أعطي وإلا قاتل عليه، كان في الحضر أو خارج المصر"[18]، هذا كما عرفه فقهاء الفترة قيد الدراسة.

3- الدراسات السابقة

لا نكاد نقف على واحدة من الدراسة السابقة لموضوع معاناة المجتمع أمام اللصوص وقطاع الطرق بفعل تجريدهم من لباسهم في بلاد المغارب خلا العصر الوسيط، اللهم بعض الإشارات المقتضبة التي عرجت على موضوع الفئات الاجتماعية المهمشة ومن ضمنها فئة المحاربين واللصوص ومن الأمثلة على ذلك نذكر؛ كتاب "الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين،"[19] والذي حصر فيه صاحبه فترة البحث في العصر المرابطي وليس كل العصر الوسيط كما لم يخصص للصوص سوى حيزا يسيرا في هذه الدراسة، لأنها تشمل بالدراسة جل الفئات الاجتماعية لتلك الفترة، كما تحدث أحمد المحمودي كتابه "عامة المغرب الأقصى في العصر

أغلبهم اتفق حول أن معنى لفظ المغرب يشمل كل ما يلي مصر غربا من بلاد الإسلام أي "المجال الممتد من طرابلس شرقا إلى البحر المحيط غربا، وحدّه من جهة الشمال البحر الرومي، ومن الجنوب بلاد السودان وهو يضم ثلاث مناطق، منطقة إفريقية، منطقة المغرب الأوسط، ومنطقة المغرب الأقصى"[8]، وهذا واضح عند ابن خلدون في تحديده لرقعة المغرب؛ امتدادها وحدودها وبعض مدنها[9].

إذن يمتد العصر الوسيط حوالي ثمانية قرون من الزمن، أي منذ وصول الفتح الإسلامي إلى بداية الغزو الإيبيري للسواحل المغربية بعد طرد المسلمين من الأندلس، كما يشغل المغرب الإسلامي رقعة جغرافية شاسعة من شمال إفريقيا، تعرف بمنطقة المغرب الكبير حاليا، وخلال هذا العصر مرت هذه المنطقة بتجارب سياسية مختلفة، بدءا بالفتح الإسلامي والتبعية للمشرق ومرورا بتكوين الدول المستقلة ذات العصبيات المختلفة (المرابطون؛ صنهاجة، والموحدون؛ مصمودة، والمرينيون؛ زناتة)، لكن اختلافها من حيث التكوين القبلي، لم يمنع اشتراكها في عدة خصائص ومنها؛ "سيادة النمط الإقطاعي للإنتاج، الذي كرس واقع التفاوت الطبقي بين العامة التي كابدت أحوالا معيشية بالغة البؤس، وبين طبقة الخاصة التي حازت ثروات طائلة هيأت لها العيش الرغيد"[10].

وقد نتج عن هذا التناقض الاجتماعي الصارخ بين هاتين الشريحتين ظهور عدة صراعات وقلاقل وفتن، والتي لم تكن في الأصل سوى صراعات طبقية ناتجة عن وضعية اللاتوازن الاجتماعي التي دفع ثمنها السواد الأعظم من الفئات المحرومة، إلا أنه يلاحظ "افتقار هذه الحركات إلى التنظيم والوعي السياسي الطبقي، لذا غلب على معظمها طابع التخريب والسلب والنهب"[11] والقتل، أو ما سمي إجمالا خلال العصر الوسيط بالحرابة، ترى ماذا تعنى عملية الحرابة؟ وما هي بعض الأفعال والسلوكات التي تنتمي إلى حقلها المعجمي؟

2- التأطير الاصطلاحي والمفاهيمي

التجريد: يقصد به هنا عملية تجريد الناس من لباسهم على يد اللصوص وقطاع الطرق وهي الكلمة الأكثر شيوعا بهذا المعنى في مصادر الفترة المدروسة مثل قول ابن الزيات كان" اللصوص خارج القرية مرتقبين من يمر بهم فيجردونه من ثيابه"،[12] أو كقول الحسن الوزان في مواضع كثير عند حديثه

---

[8]- البكري أبو عبيد الله، المسالك و الممالك، الجزء الخاص ببلاد المغرب، دراسة وتحقيق زينب الهكاري، مطبعة RABAT NET MAROC،2012م، ص. 53.

[9] – ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت لبنان، 1983م، ص. 193 - 198.

- يقول ابن خلدون" :أن المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار، فحده من جهة الغرب بحر المحيط...وعليه كثير من مدنه مثل طنجة وسلا وأزمور وأنفى وآسفي... وبلدانا كاوصت ونول من بلاد السوس وهي كلها من مساكن البربر وحواضرهم، وحده من جهة الشمال البحر الرومي، وأما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال المتهيلة المائلة حجزا بين بلاد السودان وبلاد البربر..." العبر، ج 6، ص. 193 - 198.

[10]- أحمد المحمودي ، م س، ص.151-150 .

[11]- محمود إسماعيل، المهمشون في التاريخ الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، المكتبة الوطنية للمملكة الوطنية، 2004، ص. 36.

[12] - وكذلك قصة الأعراب الذين جردوا المصلين، من الحالات التي تتعلق بتجريد اللصوص للسكان من ثيابهم، التشوف، م س، ص. 103، 309.

[13] - ن م، ج 1، ص. 47

[14] - الوزان، ن م، ج 1، ص. 65

[15] - ن م، ج 2، ص. 112

[16] - ابن فرحون، برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ج 2، خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه، الشيخ جمال عشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1416هـ/1995م، ص. 203- 204، الشيخ خليل، ابن إسحاق المالكي، مختصر العلامة خليل، صححه وعلق عليه أحمد نصر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأخيرة، 1401هـ/1981م، ص. 290.

[17]– عند ابن أبي زرع : "أهل الحرابة والفساد من الورى....يعزون بالتشبه بالذكار"، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط، ط 2، 1420هـ/1999م، ص. 331، عند ابن عبد الملك: "وعات أهل البغي في الأرض وكثر في أقطار المغرب ونواحي مراكش قطع السبيل والمحاربون الساعون في الأرض فسادا"، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح، محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، س. 8، ق. 1، ص. 176.

[18] - ابن فرحون، ن م، ج 2، ص. 204، الشيخ خليل، ن م، ص. 290.

[19]– إبراهيم القادري بوتشيش، الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 1998م، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية، 1990 . 1991م.

وهي كتب وإن كان يطغى عليها الجانب السياسي والعسكري إلا أن تتناولها لتاريخ الغرب الإسلامي في شموليته يساعدنا على الوقوف على بعض الأزمات السياسية والطبيعية التي كانت تتزامن وانعدام الأمن في الطرقات والأسواق والمدن، كما تفيدنا في معرفة أهم جهود السلاطين لتأمين البلاد ومحاربة اللصوصية.

ب ـ مصادر ذات طبيعة وصفية: وتشمل كتب الرحلات والجغرافيا التي تساعدنا في ضبط مكامن اللصوص وقطاع الطرق، من خلال وصفها للطرق المخوفة والطرق الآمنة وكذا بعض آليات الحماية من اللصوصية التي يلجأ إليها سكان بعض القبائل المغربية التي زارها أصحاب هذه الرحلات، ومن هذه المصادر ما يلي:

ـ " المسالك والممالك " الجزء الخاص ببلاد المغرب، لأبي عبيد الله البكري (ق: 5هـ)

ـ " الرحلة المغربية " للعبدري محمد بن محمد الحيحي (ق: 7هـ)

ـ " وصف إفريقيا " للحسن الوزان (ت. 957هـ)

ج ـ مصادر ذات طبيعة فقهية: ومنها كتب النوازل والفتاوى والأحكام والأقضية، وهي تمدنا بمعلومات قيمة حول موقف المُشرّع وبالتالي السلطة وأجهزتها من فئة اللصوص وأفعالهم، وأهم الأحكام والعقوبات المبتكرة لردع اللصوص، وكذا معرفة بعض أنواع المسروقات والأفعال التي ترافق عملية السرقة من قتل وإضرام النار وغيرها، ومن نماذج هذا النوع نذكر:

ـ " الأحكام السلطانية والولايات الدينية،" لأبي الحسن الماوردي. (ت. 450 هـ)

ـ " السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية،" لابن تيمية تقي الدين.(ت. 874هـ)

ـ " المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب"، للونشريسي أحمد بن يحيى. (ت.914 هـ).

د ـ مصادر ذات طبيعة ذهنية: وتضم كتب التصوف والمناقب والأمثال الشعبية والأدب، ومن خلالها نقف على الآثار التي تحدثها ظاهرة التلصص والحرابة وما يرافقها من عنف وخوف في ذهنيات المجتمع، كتوظيف البركة والكرامة الصوفية في محاربة اللصوصية وقطع الطرق والحد من مخاطرها، ومن هذه المصادر ما يأتي:

ـ "التشوف إلى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي" لابن الزيات أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ت. 617 هـ).

ـ "المقصد الشريف والمنزع اللطيف، في التعريف بصلحاء الريف"، البادسي عبد الحق

ـ "ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي"، ج.1.2، من تحقيق، محمد نبيل طريفي.

ثانيا: التحليل والنتائج

1- أهمية اللباس وطرق تدبيره بمغرب العصر الوسيط

ومن المشاهد التي تعكس أهمية اللباس في حياة المجتمع المغاربي الوسيط، تلك الحالات المتكررة من الاختلاس في الأثواب أو ادعاء الضياع من جانب

22– عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، دار توبقال للنشر، ط 1، 2009م، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية، 2005م.

الموحدي"[20] عن اللصوص وقطاع الطرق، إلا أن هذه الفئة لم تنل حظها الكافي في الدراسة التي تناولت كل شرائح العامة، كما قصرها على زمان محدد وهو العصر الموحدي ومجال محدد وهو المغرب الأقصى، وبنفس الطريقة يعرج محمد فتحة على موضوع اللصوصية في بحثه "النوازل الفقهية والمجتمع"[21] والذي وإن كان يشمل بالدراسة كل بلاد الغرب الإسلامي إلا أنه حددها زمنيا في ثلاثة قرون (ق: 6 هـ /9 هـ) من العصر الوسيط، ثم أن الحديث عن اللصوص في هذه الدراسة يقتصر على جانب العقوبات والتعازير التي سُلطت على المجتمع في تلك الفترة، ومن ضمن فئات المجتمع العريضة نجد فئة اللصوص، وإذا كان عبد الأحد السبتي[22] قد أفرد دراسة خاصة باللصوص وقطاع الطرق، فإنها تتحدث عن مغرب ما قبل الاستعمار (ق: 19م) غير أنه في بنائه للموضوع ينطلق أحيانا من فترات وسيطية، كما يعقد مقارنات بين فترات تختلف زمنيا إلا أنها تتشابه فيها أحداث اللصوصية وأمن الطرق.

ومن هنا يستمد هذا البحث أهميته ذلك أنه يتحدث عن فئة اجتماعية خاصة وهي فئة اللصوص وقطاع الطرق في علاقتها بقضية خاصة وهي تجريد الناس من ثيابهم إذ لا نتحدث عن جميع الفئات المهمشة في المجتمع كما لا نجرد جميع مسروقات اللصوص وإنما نركز على مادة اللباس لإبراز أهميته المادية والرمزية في حياة ونفوس أصحابه، وباعتباره أهم شيء كان يسرق بعد الطعام خلال العصر الوسيط.

4- منهجية البحث

قصد الإجابة عن إشكالية هذه الدراسة، فقد اعتمدنا منهجية علمية استقرائية تقوم على تمحيص النصوص ومساءلة مضامينها ومحاولة استنباط ما بين سطورها، لتفسير جملة من الأحداث والسلوكات والمواقف التي تخدم الموضوع، كما ننهج أحيانا الأسلوب الاستدلالي وذلك ببسط فكرة أو قضية معينة ثم نحاول إثباتها والتدليل على صحتها من خلال قياسها على ما ورد في النصوص والشهادات المصدرية، هذا بالإضافة إلى المنهج الوصفي أحيانا الذي يمكننا من تتبع ووصف منحى تطور القضية موضوع الدراسة في المجال الذي هو المغرب الإسلامي وكذا في الزمان الذي هو العصر الوسيط.

كما اعتمدنا لنفس الغرض على مصادر تشمل مختلف الكتابات والتصانيف والحقول المعرفية التي عرفها العصر الوسيط، ومن أصنافها نذكر النماذج التالية:

أ – مصادر ذات طبيعة تاريخية: وهي كتب الأخبار ومصادر التاريخ العام التي أخذنا منها السياق العام والخاص الذي تدور فيه أحداث اللصوصية وقطع الطرق، وتعتبر ضرورية في ضبط هذه الأحداث وترتيبها كرونولوجيا، ومن أهم هذه المصادر ما يلي:

ـ "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" الجزء الأول والقسم الموحدي، لابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ)

ـ "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" لابن أبي زرع الفاسي (كان حيا سنة 729هـ)

ـ كتاب "العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، وكتاب " المقدمة" لعبد الرحمان بن خلدون (ت. 808هـ)

20– أحمد المحمودي، عامة المغرب، م س، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية، 1999 - 2000م.

21– محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6 إلى 9 هـ / 12 - 15م، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، 1999م. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، السنة الجامعية، 1995م.

والأمثلة كثيرة في كتاب التشوف، تلك التي تتعلق بحوادث نزع الثياب على يد اللصوص وهي تتشابه في مضامينها، حيث تنسج على المنوال نفسه الذي يعزز دور الأولياء والمتصوفة في رد الاعتبار لأولئك المقهورين من جميع النواحي والجوانب، وليست اللصوصية سوى مساهم صغير ضمن معاناتهم اليومية، ومن تلك الأمثلة أن رجلا "جاءه سارقان ليلة ليأخذ عباءته، فناشدهما الله أن ينصرفا عنه فأبيا"[30]، وآخر تبعه لص من السودان لسلب أثوابه، وقعد له على باب المسجد إلى أن خرج[31]، وهي كلها قصص تؤكد أن هذا الفعل كان حاضرا في تاريخ المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، كما تكشف عن الوجه الخفي وراء اقتراف اللصوص لأفعالهم هاته التي تبدو من منظور الضحية بشعة، ولكن لابد أنه كان لها ما يبررها عندهم آنذاك، وتكشف من جهة ثانية عن أهمية اللباس وندرته ومعاناة المجتمع في تحصيله والذود عنه.

2- صور ومظاهر لتجريد اللباس على يد الصوص في مجتمع مغرب العصر الوسيط

وأمام رغبة هذه الجحافل من الفقراء والمهمشين في تحصيل لباسها بالقوة والعنف عبر اللصوصية، ورغبة السكان في الحفاظ على أثوابهم نظرا لأهميته كما أسلفنا، كانت تتولد مشاعر الخوف عند المجتمع المستهدف باللصوصية، أولا الخوف على ضياع لباسهم الذي كان يشكل ثروة حقيقية آنذاك، وثانيا الخوف على الأرواح إن هي أزهقت مدافعة عليه، وثالثا الخوف من الفضيحة والعار الذي يلحق الرجل أو الجماعة من الناس إن جُرّدت من ثيابها، وعادت إلى الديار عارية.

وقد حدث هذا لجماعة من القرويين في عام مسغبة، حينما انحبس عنهم المطر فخرجوا من ديارهم لأداء صلاة الاستسقاء، لكن جردتهم من ثيابهم في الطريق جماعة ممن احترف الحرابة[32]، وذلك حسب رواية صاحب التشوف، ولنا أن نتصور تلك الحزمة من المشاعر المتضاربة التي تختلج نفوس هؤلاء العرايا، بين الحقد على من جردهم من ثيابهم والخجل من أنفسهم ومن الآخر، هذا الخجل الذي مصدره انكسار في النفس بسب الجبن أمام هؤلاء المحاربين، وانكسار ناتج عن فضح عوراتهم وكشف سوءاتهم أمام بعضهم البعض، ناهيك عن الشعور بالقنوط الذي يخلفه انحباس المطر والخوف من المجاعة، ثم يزداد الشعور بالقنوط واليأس عندما ينزل بهذه الجماعة العارية المسلوبة تقريع على الصناع أو الحمّالين أو القصّارين والسماسرة[23]، الذين يُؤتمنون على تبييض الثياب وغسلها، أو خياطتها وحياكتها أو نقلها، فيختلسونها أو بعض أجزائها لأنفسهم، حتى اعتبر أهل الحسبة أن الإنقاص من الأثواب على يد الصناع وغيرهم من أكبر أنواع الغش والفساد[24] التي عرفتها حرفة الخياطة، ومما يعكس أهمية اللباس أيضا هو أن مثل هذه النزاعات بين أصحاب الثوب والحرفيين، والتي وإن ظهرت بسيطة فإنها كانت تصل إلى القضاء وتتكرر وتتنوع فيها الشكاوى[25].

وإذا كان تدبير اللباس يختلف من فئة اجتماعية إلى أخرى، وذلك باختلاف إمكانياتها المادية ومرتبتها الاجتماعية، فإن فئة لا يستهان بها من مجتمع المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط عاشت على الكفاف، تكتفي بستر عوراتها بما تيسر لها من أسمال ومرقعات، بل هناك منهم من عاش متجردا من ثيابه، منقطعا عن الناس في الفلوات، إما رغبة منه في الزهد[26]، أو مضطرا إلى ذلك النمط من العيش بعدما سدت في وجهه جميع سبل العيش الكريم[27].

وإذا كان الكثير من سكان المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط قد استطاع ستر عورته بما أتيح له من أثواب، دون مراعاة لضروب الموضة والتأنق في الملبس والمظهر، وذلك عن طريق الاكتفاء بالحياكة المنزلية[28]، أو شراء الملابس من الأسواق القريبة، وخاصة في بعض المناسبات الدينية، فإن البعض الآخر ممن كان يعيش بعيدا عن الحضارة منتجعا في الفيافي الخالية إلا من بعض القوافل التجارية التي تعبر مناطقها من وقت لآخر، أو تلك الجماعات البشرية الخارجة عن القانون الهاربة بجرائرها، أو بعض العبيد الآبقين من أسيادهم الطامحين إلى الحرية بعيدا عن البشر واستغلاله، وكذلك بعض الجماعات من النازحين والمنكوبين نحو معاقل الجبال، إما تحت وطأة الجوائح أو الفتن والنزاعات العسكرية، وغيرهم كثير ممن كان يؤثر عدم الاختلاط بالبشر، إما رغبة أو رهبة، فإن مشكل اللباس عندهم كان يُطرح بشكل أكثر حدة، فهو البديل عن السكن الذي حرموا منه، ليقيهم بأس الطبيعة في حرّها وقرّها، كما أن مشكل الطعام قد يسهل تدبيره عبر الصيد والالتقاط وغيره، لكن اللباس لا سبيل إلى تدبيره إلا بانتزاعه من على أجساد أصحابه ومثال ذلك ما ذكره التادلي أنه على ضفاف وادي أم الربيع كانت جماعة من اللصوص تترصد المارة بهدف تجريدهم من ثيابهم[29] .

- Tàhir as Sadafi**, As sirr al Masùn Fi Ma Ukrima Bihi al-Muhlisun**, Edition critique et analyse, Halima Ferhat, DAR AL-GHARB AL-ISLAMI, Beyrouth, 1998.p.63-64 .

[23] - سؤال عن "من باع كساءه أو رداءه، وقبض الثمن فقال له البائع، أبلغ إلى الدار وآخذ لنفسي كساءا أو رداءا وآتك بكسائك، فاختلس الكساء"، الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط 1، 1981م، ج 6، ص. 76، ج 8، ص. 318، ج 11، ص. 318 -339.

- سؤال عن "الرجل يدفع إلى الصانع أجرته، وقام الصانع ليخرج إليه ثوبه، فقال ربه: دعه الساعة. ثم ادّعى الصانع تلفه بعد ذلك" ن م، ج 8، ص. 340، 360.

[24]- السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد، رسالة في آداب الحسبة، نشر ليفي بروفنسال، مكتبة إرنيست، باريس، المؤسسة المغربية للدراسات العليا، ص. 62- 63.

[25] - الونشريسي، نفسه، ج 9، ص. 120-121، ج 8، ص. 318، 340، 360، ج 6، ص. 76.

[26] - من تلك الحالات التي تعبر عن الرغبة في الزهد عبر التجرد من اللباس؛ أنظر التشوف، م س، ص. 24، 304- 305، 377- 378، الصومعي أحمد التادلي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تح علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996، ص. 166، البادسي عبد الحق، المقصد الشريف والمنزع اللطيف، في التعريف بصلحاء الريف، تح سعيد أحمد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1982، ص. 24.

[27] - يصور ابن عذاري عند حديثه عن إحدى المجاعات التي ضربت مراكش إبان ضعف السلطة الموحدية رداءة لباس سكان هذه العاصمة فيقول: "وما بقي بها [مراكش] من يلبس ثوبا، إلا الأطمار المتغيرة، الخلقة" ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح محمد إبراهيم الكتاني ـ محمد بن تاويت ـ محمد زنيبر ـ عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1406هـ/ 1985م، ص. 325.
كما أورد المصدر نفسه شهادة لعبد المومن بن علي في حق طبقة جماعة من الطلبة التي وفدت عليه مبايعة إلى مراكش، فرآهم "دون ثياب ترضيه، فقال: لأشياخ الموحدين، هؤلاء الطلبة عرايا ضعفاء..." ن م، ص. 81.

[28] - ابن الزيات، م س، ص. 274.

[29] - ابن الزيات، نفسه، ص. 309.

[30] - ابن الزيالت، ن م، ص. 103، هذا الرجل هو أبو جبل يعلى، من أهل فاس، توفي عام 503هـ، بجبل العرض بخارج مدينة فاس، وكان جزارا.

[31] - ن م، ص. 361، هو أبو عبد الحق عبد الصمد بن إسحاق الهسكوري، من أهل رباط بئر قرن الجديد وبه مات عام 521هـ.

[32] - ن م، ص. 383

صاحب إثمد العينين على لسان أحد الذين ترجم لهم حيث قال: "كنت في بلاد السوس إذ لقيت سبعة من العرب فقالوا لي: انزع ما عليك من الثياب، فجردت الجبة وأعطيتها إليهم، ثم تحايلت وبقيت في التشامير والسروال، فقالوا لا بد أن تنزع التشامير، فجردته وبقيت في السروال فانصرفوا عني، ثم رجع إلي واحد منهم فقال لي: انزع تلك السروال، فقلت: ما أمر الله أن أكشف عورتي، فقال لي لابد من زواله"[40]، ويظهر من خلال هذه الرواية -إن صحت- مدى حرص اللصوص على تجريد هذا الرجل من كافة ثيابه بما في ذلك ملابسه الداخلية[41]، وهذا واضح في كلامهم وفعلهم من خلال تكرار عبارة " لابد أن تنزع" و"لابد من زواله"، وهم غير عابئين بمصير هذا الرجل بعد تعريته، كما يظهر كذلك مدى حرص الضحية على لباسه وستر عورته، وهذا واضح في تحايله على اللصوص، ثم مناشدتهم وتذكيرهم بالله للإبقاء على سرواله الذي يواري سوءته، وفي هذا الحرص من الجانبين تأكيد على أهمية اللباس من جهة، لهذا كان البعض يقاتل من أجله ويتجرد من إنسانيته في سبيله، ومن جهة أخرى كان التعرض لمثل هذه المواقف، ثم ذيوع مثل هذه الأخبار في أوساط المسافرين والناس عموما يذكي في نفوسهم هاجس الأمن والخوف في الطريق، وخاصة الخوف من الفضيحة بعد العري الذي لا يضاهيه أي خوف.

وفي أقصى شمال بلاد المغرب الأقصى كان الناس لا يجرؤون على المرور بحوض بادس، بسبب عيث بعض المحاربين المتغلبين على المنطقة، والذين كانوا يقطعون الطريق ويسلبون التجار، ومن ضمن تلك الأسلاب كان يرد ذكر الملابس، وقد ذكر البادسي أن أحدهم غصب "جبة قرمز، لبعض التجار قطع الطريق عليهم وسلبهم"[42]، كما كان بعض اللصوص في نفس المنطقة يتسللون إلى المنازل لسرقة الملابس، وخاصة إذا كانت جديدة وغير مستعملة تغري السراق، حيث يذكر نفس المصدر أن سارقا أتى ليلة إلى منزل أحد شيوخ الريف لسرقة "شورة"[43]، كان الرجل قد صنعها بمساعدة بعض لسان أحد الأولياء[33]، الذي خاطبهم مستنكرا لما حدث "أفتطمعون أنتم أن تستنزلوا المطر من السماء، وقد عجزتم عن استرجاع أثوابكم من عند العرب"[34]؟

ولعله بسبب ما يلحق الإنسان من عار وذل وصغار جراء تجريده من ثيابه، سواء على يد اللصوص أو غيرهم من الأعداء ، كان حرص الناس على المحافظة على ثيابهم فوق أجسادهم مهما كلفهم الثمن في جميع الأحوال والظروف، حتى ولو كان الإنسان مضطرا إلى نزع ثيابه في بعض الأوقات، إما لغرض السباحة أو الاستحمام مثلا، فيجب عليه أن يضع في الحسبان تأمين ثيابه من السرقة، ولهذا تداول الناس في أمثالهم؛ "العوام يعوم ويتفكر كساته"[35]، أو حتى إذا اضطر إلى تغيير مسار رحلته عبر طريق أطول مسافة[36] فقط لتخطي موضع اللصوص المعروفين بتجريد المسافرين من ثيابهم، كما كان البعض الآخر لا يقدر على المرور ببعض المواضع إلا أن يكون شبه عاريا[37]، بل هناك من الناس من كان يسافر على التجرد"[38]، أي بدون ملابس وهي الطريقة الوحيدة التي كانت تنجيهم من العنت والإذلال على يد اللصوص، وفي هذا السياق نظم الناس مثلا يقولون فيه: "كيف تسلب العريان"[39]؟ وهذا المثل يفهم من جهتين، فمن جهة هو يعبر عن حصرة وتعجب اللصوص الذين إن لمحوا مسافرا استبشروا، لكن إذا دنا منهم وجدوه عاريا خاب أملهم وتنذروا، ومن جهة أخرى فهو يعبر عن وجهة نظر ضحايا اللصوص من المجتمع والذين ضاقوا ذرعا من كثرة السلب والنهب، ناهيك عن الفقر الذي قد يظهر من خلال لباس بعضهم من مرقعات وأسمال، فكيف تكون تلك الملابس الرثة محط أطماع من طرف اللصوص؟ الذين لا يتورعون عن تجريد أصحابها، وإن كانوا في الواقع هم في حكم العرايا والمسلوبين لشدة فقرهم وحاجتهم.

ومما يثبت أيضا حضور هذه القضية في تاريخنا الوسيط هو ما تتضمنه كتب المناقب من حالات لنزع الثياب، وحرص اللصوص على مطاردة الناس في طرقاتهم وبيوتهم، للظفر بكساء، أو عباءة أو وجبة، حتى وإن قاتل عليها اللص أو قُتل، أو عوقب على فعلته من طرف أحد الأولياء، ومنها ما ذكره

FOUCAULD, Vicomte Charles de, **Reconnaissance au Maroc,1883-1884**, Challamel et C[IE], Éditeurs, Librairie Coloniale, Paris, 1888, 2 vols, p. 41.

[38] - ابن الزيات، م س، ص. 377، وهو أحد من ترجم لهم التادلي وهو أبو العباس أحمد بن عبد العزيز السلالجي الخراز من أهل مراكش، توجه إلى مكة فمات ببجاية في صدر عام 600هـ ودفن بملالة، ومن نظمه في إيثار التجرد من الثياب خلال سفره:

"ليس لي كسوة أخاف عليها \\// من مغير ولا ترى لي مالا"، ن م، ص. 378

[39] - الزجالي، أمثال العوام، ق 2، م س، ص. 69

[40] - أبو عبد الله بن تجلات، إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين، ج 2، تح، محمد رابطة الدين، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية، 1986م، ص. 213.

[41]- يبدو عدم تورع اللصوص عن أخذ ملابس الغير الداخلية وإعادة استعمالها، وإذا كان هذا السلوك في وقتنا الراهن قد يبعث على الاشمئزاز في النفوس، فإنه يحيل على ندرة اللباس آنذاك، لأن الإنسان كان يقاتل عليه ويسلبه من على عورات الغير.

[42] - البادسي، م س، ص. 26.

[43] - شورة :هي كل ما تجهز به العروس من لباس وحلي وأفرشة، وهي كلمة لازالت متداولة في الأقاليم الشمالية للمغرب حيث يقول الناس الشوار أو دهاز (جهاز) العروس.

[33] - وهو "أبو يلبخت الأسود وهو تلميذ لشيخ أبي يعزي، كان بجبل دمنات من جبال هسكورة، وبها مات عام602هـ، وكان من أكابر المشايخ والأولياء"، ن م، ن ص.

[34] - ن م، ن ص.

[35] - ومثله أيضا قولهم: "يعوم العوام وما ينساش كساه"، و"عُمْ واحرز ثيابي"، الزجالي، أبو يحيى عبد الله بن أحمد القرطبي، أمثال العوام في الأندلس، ج 2، تح، محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، د ت، ص. 373.

[36] - من الأمثلة التي تحث على ذلك: "دع المعاجيل لِطِمْل أَرْجَل" والمعاجيل ؛ جمع معجل وهو الطريق المختصر الذي به المنازل والمياه، والطّمل؛ يقصد به اللص الخبيث، والأرجل؛ أي الصلب الرّجْل الذي لا يكاد يخفى. الخويي، أبو يعقوب يوسف بن طاهر، فرائد الخرائد في الأمثال ،معجم في الأمثال والحكم النثرية والشعرية، تح، عبد الرزاق حسين، دار النفائس، الأردن، د ت، ص.218.

[37]- وقع هذا للرحالة شارل دوفوكو عندما كان في مستهل رحلته بأرض المغرب، حيث أراد الذهاب من تطوان إلى فاس، فاضطر إلى تغيير برنامجه وقرر السفر نحو فاس عبر الطريق العادي الذي يمر بالقصر(لعله القصر الكبير) عوض المرور ببعض المواضع المخوفة عبر شفشاون ووزان حيث قال عنها: " كانت معروفة باللصوصية ولا تجرأ القوافل على قطع أراضيها إلا باحتياط كبير...، كما كان الرقاصون يتخوفون من عبورها لأنهم كانوا يجردونهم من رسائلهم وثيابهم"، بل وحتى "حفظة القرآن لايقدرون على المرور بهذه القبائل إلا أن يكونوا شبه عراة"

نوعا من الارتياح والإحساس بالأمان إبان تكالب الأزمات على إنسان تلك المرحلة، وخاصة عندما يختل الأمن ويصير الإنسان لا يأمن على نفسه وماله وعرضه بل وحتى على ثيابه التي تستر عورته، وهنا يبرز مجتمع الأولياء والصلحاء الذي يجد الحلول لجميع الصعاب؛ إنه مجتمع يرمي من ورائه أصحابه إلى أن يحس فيه الكائن بالطمأنينة والأمن والسلام[51].

ومن الأمثلة على معاناة أصحاب الرحلة والمسافرين عموما مع اللصوص وقطاع الطرق المشهورين بتجريد الضحايا من ملابسهم، فضلا عن سلب أمتعتهم وما قد يصاحب ذلك من تدمية وإهانة، يحدثنا لسان الدين ابن الخطيب خلال محنته بأرض المغرب في أواخر القرن8هـ، عن فساد الطريق إلى مكناسة حتى "سدت السبل مابين دار الملك ومدينة سلا، فلا يخلص بها الطيف، ولا ينفذ الفكر، وربما اقتحمته طائفة تدل بوسيلة دين أو دنيا، فأتوا باديا بوارهم عارية عوراتهم"[52]، ورغم أنه يشكل علينا فهم مضامين أوصاف ابن الخطيب، هذا الأديب اللامع، إلا أنه يمكننا أن نستجلي من سياق هذا الكلام و-على صعوبته - ما يفيد موضوعنا، وخاصة الجانب الخاص بانعدام الأمن الذي لا شك أن اللصوصية كانت حاضرة ومساهمة فيه بشكل كبير، وما ينجم عن هذا الانفلات الأمني من خوف تُسدّ على أثره السبل وتنعدم الأسفار، كما أن العابر لهذه المواضع المخوفة لا يعبرها إلا عاري العورة، وأثر البوار باديا عليه، وهذا العراء والبوار لا يأتيه إلاّ من لصوص محاربين، يسلبون ويجردون كل من مر بساحتهم.

وقد أكد لسان الدين بن الخطيب هذا الطرح، عندما نظم أبياتا من الشعر تصف لباس هؤلاء الخائفين العابرين طرق مكناسة وضواحيها فقال: "وفي ذلك صدرت عني مقطوعة في غرض التورية استملحها الناس يومئذ وهي قولي:

مكناسة حُشرت بـها زمر العدا \\// فهدى بريدٍ فيه ألْفُ مَرِيــدِ

من واصل للجوع لا لـرياضة \\// أو لابس للصوف غير مُرِيــدِ

فإذا سلكت طريقها متصوفا \\// فابني السلوك بها على التجريد"[53]

ويلاحظ من خلال البيت الأخير كيف استعار ابن الخطيب بعض الألفاظ التي تنتمي إلى معجم التصوف، مثل السلوك والطريقة والتجريد[54]، وهو ما كان يقصد بتلك الألفاظ ما تحمله من معاني الزهد وترك ملذات الحياة والتصوف، وإنما هي كناية عن الحال التي أصبح عليها كل وارد لهذه البقاع المُلِصّة من لباس الصوف الخشن والأسمال المرقعة، بل وحتى التجرد من الثياب نهائيا، ناهيك عن الجوع المتواصل، ليس زهدا ولكن بسبب ما يتعرضون له على يد من سماهم ابن الخطيب "بزمر العدا"، وقدرهم بألف مَريد، ويكفي أن نعرف أن المريد في لغة العرب تعني المتمرد الخارج عن الطاعة[55]، لنصفهم باللصوص وقطاع الطرق، وقد سبقنا إلى هذا الوصف من هو أفضل وأعلم

[50] - بوتشيش، القادري إبراهيم، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء، دارالطليعة، بيروت، ط 1، 1993م، ص. 111

[51] - ن م، ص. 148

[52] - ابن الخطيب، لسان الدين، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، سنة 1985م، ص. 328، والمَريد: هو المتمرد الخارج عن الطاعة.

[53] - ابن الخطيب، نفسه، م س، ص. 328

[54] - الرجوع إلى الحالات التي تجردت من ثيابها وساحت في الأرض بالمرقعات تبتغي سلوك المريدين ومنهاج السالكين. أنظر البادسي، المقصد الشريف، م س، ص. 24. التشوف، م س، ص. 370، 378.

[55] - ابن الخطيب، النفاضة، م س، ص. 328

المحسنين لابنته المقبلة على الزواج[44]، ومعلوم أن شورة أو شوار العروس لم يكن سوى ملابسها وبعض الأثواب التي تستعمل كأفرشة أو أغطية وغيرها.

أما في منطقة أخرى من بلاد المغرب الأقصى وخاصة نحو الجنوب حيث ترجم التادلي لبعض من أولياء مراكش وأحوازها، فيبدو أن رجالات هذه المنطقة كان لهم الحظ الوافر من التجريد على يد اللصوص، وقد كثر الحديث عن تدخل الأولياء لإعادة الأمور إلى نصابها، مما كان ينبئ بأن أحداث نزع الثياب لم تكن أحداث معزولة بل صارت جزءا من المشهد اليومي في بعض المناطق، وخاصة إبان الأزمات[45]، وقد أكد الأستاذ القادري بوتشيش أن "التصوف يترسخ ويشتد عوده إبان الأزمات، وحين يدب الضعف والوهن في كيان السلطة المركزية وتتسارع الفتن، وتحدث المجاعات والأوبئة والكوارث"[46]، وهذا ما يدفعنا للقول أن أعمال اللصوصية تتفاقم في مثل تلك الأوقات كما ونوعا، فتصبح جزءا من تلك الأزمات والكوارث، الشيء الذي تعكسه كثرة تدخل المتصوفة لأن تدخلهم "يصبح آنذاك بديلا ضروريا لإعادة التوازن السياسي والاجتماعي"[47]، وإذا كان تدخل الأولياء خلال الأزمات عموما، ولحل أزمة الخوف وبعث الأمن والطمأنينة في نفوس العامة إبان الأزمات بوجه خاص، وتدخلهم للحيلولة دون فضح عورات الناس على يد اللصوص بشكل أخص هنا ليس أوانه، فإنه يهمنا في هذا الصدد تسليط الضوء على بعض الحالات من السرقة التي استهدفت الأثواب كيفما كان استعمالها، للكشف عن معاناة الناس أمام جرأة اللصوص والخوف من التجريد وما يعقبه من فضيحة خاصة إذا كان المرء ـ مع قلة الأثواب- لا يملك غير لباس واحد، ثم يصعب تدبير اللباس في ظل تلك الظروف.

3- معاناة المجتمع من لصوصية اللباس ببلاد المغرب الوسيط

تطلعنا العديد من المصادر على أحداث تتعلق بمعاناة المسافرين والناس عموما على إثر تجريدهم من لباسهم على يد اللصوص وقطاع الطرق، حتى أطلق عليها الأستاذ عبد الأحد السبتي "عادة نزع اللباس في سياق قطع للطريق[48]"، وهي مسألة متواترة الرواية، تحفل بها كتب المؤرخين والرحالات والمناقب والنوازل، فصارت تروى عند الرحالة والمتصوفة كأجزاء من سيرهم الذاتية، فهي عند الرحالة أو الجغرافيين تعبير عن مدى الخوف والمعاناة والمخاطر المحدقة التي كانت تلف أسفارهم ورحلاتهم، أما عند المتصوفة فتقدم تجاربهم مع اللصوص الذين يجرؤون على نزع ثياب الولي الصالح ومن تم كشف عورته كواحدة من المحرمات التي لا تغتفر، ولهذا غالبا ما يكون العقاب الذي يناله اللص على يد الولي شديدا[49]، كما أن كل التجارب التي تعرضها كتب المناقب في سياق نزع الثياب من طرف اللصوص، تنتهي لصالح المتصوفة أي لصالح الكرامة وما ترمز إليه من خير، وخيبة واندحار اللصوصية، وما ترمز إليه من ظلم وشر، وبالتالي انتصار الخير على الشر، وكان ذيوع تلك الكرامات بين الناس يساهم في سرعة تصديق العامة لها بل حتى الإيمان بها"[50]، مما كان يبعث في النفوس

[44] - البادسي، م س، ص. 148- 149.

[45] - ومن الحالات التي توحي بأن المسألة أصبحت في بعض المناطق مشهدا مألوفا قوله: كان" اللصوص خارج القرية مرتقبين من يمر بهم فيجردونه من ثيابه"، وكذلك قصة الأعراب الذين جردوا المصلين، من الحالات التي تتعلق بتجريد اللصوص للسكان من ثيابهم، التشوف، م س، ص. 103، 309، 361، 383، 393.

[46] - بوتشيش، المغرب والأندلس، م س، ص. 125.

[47] - ن م، ص. 125- 126.

[48] - السبتي عبد الأحد، بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، دار توبيقال للنشر، ط 1، 2009م، ص. 165

[49] - من نماذج العقوبات التي أنزلها المتصوفة باللصوص في هذا النوع من السرقات، يذكر ابن الزيات، لصا "جُنّ وبقي أياما يصرع ويخنق نفسه المرة بعد المرة"، التشوف، ص. 288، و"لص اختطفه الأسد" ن م، ص. 103.

اللصوص أن يسلبوا هذا الرجل وحده دون غيره، وهم على مرقب من المدينة ليس لهم شغل سوى انتهاز الفرصة في الواردين عليها أو الخارجين منها من السكان والمسافرين، كما أن هذه الحالة وإن وجدت حالات أخرى تشبهها، فهي تعكس ما قلناه من معاناة هؤلاء الضحايا بعد تعرضهم للسرقة والتجريد، خاصة وأنهم سلبوه أثمن ما عنده وهو الفرس الذي لا يوجد في ملكيته بل هو مستعار، والأثواب وهي أعز ما يملك، ولا نستبعد أن يكون في جملتها ما هو مستعار أيضا، ذلك أن الرجل أراد أن يظهر أمام زوجته وعياله بعد طول غياب بمظهر الشموخ والعزة، فانقلب حاله على يد هؤلاء اللصوص إلى مظهر الإفلاس والاحتقار والذلة.

وبالإضافة إلى كون اللصوص كانوا لا يرحمون فقيرا أو غنيا إذ تعلق الأمر بسرقة اللباس، فإنهم لم يكونوا يوقرون شيخا ولا مكان أو زمان عبادة[64]، وهذا الشيخ أبو حفص تصولي[65] يحكي عن كراماته، وصولاته وجولاته في تخطي شراك اللصوص المتربصين به وبغيره من أهل القرية لنزع ثيابهم، حيث كان كساء هذا الشيخ أبيضا يراه اللصوص رغم "ظلام الليل، فتبعوه وهم يجرون ولا يدركونه، فدخل في المسجد، فقعدوا ينتظرونه عند باب المسجد وقالوا: إذا خرج علينا أخذنا كساءه"[66]، ورغم أن الوقت وقت صلاة، والمكان مكان عبادة، والضحية شيخ تبدو عليه علامات الوقار، من خلال كسائه الأبيض وتعهده للمسجد ليلا، فإن إصرار اللصوص على اقتراف جرمهم كان واضحا، يظهر ذلك من خلال مطاردتهم لهذا الشيخ والقعود له بكل مرصد، حتى ولو كان باب مسجد لأخذ ثيابه، ومعلوم أن انتشار مثل هذه الأخبار في أوساط السكان كان يزرع الرعب في قلوبهم، وخاصة أولئك الذين لا حول لهم ولا قوة - ولا كرامة - تنجيهم من قبضة اللصوص.

ومهما يكن من أسباب وراء تجريد اللصوص لضحاياهم فإنها أحداث واقعة لا محالة، حيت تشير المصادر التاريخية منذ العصر الوسيط بصدد بعض الأحداث البارزة إلى ظاهرة تجريد العدو من لباسه، فعلى سبيل المثال: نذكر أخبار "المشعلة" قرب فاس في سياق المعارك الأولى التي دارت عند انطلاق بني مرين نحو الاستيلاء على الحكم[67] وذلك سنة 613هـ /1216م، حين انهزمت الحامية الموحدية بقيادة السيد أبي إبراهيم صاحب فاس، فعاد مغلوبا إلى(المدينة) فاس وأصحابه عراة بين يديه، بعدما جردهم المرينيون من ثيابهم، فصاروا يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف بالمشعلة، فسميت السنة سنة مشعلة[68]، فصارت السنة والنبتة سيئتي الذكر عند المصامدة نظرا لما تحملانه في طياتهما من معاني الذل والهزيمة، وبالمقابل صار الحدث مبعثا للفخر والاحتفال عند الزناتيين، وتبقى النقطة الفاصلة التي صنعت الحدث وجعلته تاريخيا هي نزع ثياب الجيش المنهزم، حتى سميت السنة بما يوحي إلى اللباس قبل الهزيمة أو الانتصار.

ويبدو أن عادة تجريد الناس من ثيابهم على يد الأعداء واللصوص بوجه خاص استمرت بعد العصر الوسيط في بلادنا، ومن المشاهد الدالة على ذلك ما تعرضه المصادر الحديثة ببلادنا وحتى المعاصرة من حالات الاعتداء منا بلغة ابن الخطيب، وحال بلاد المغرب خلال فترة لجوئه إليه، وهو "المقري" الذي ذكر نفس الأبيات مع اختلاف بسيط في البيت الأخير حيث استبدل كلمة "فابني" بكلمة "فانو" فصار البيت على الشكل التالي:

فإذا سلكت طريقها متصوفا \\// فانو السلوك بها على التجريد.

وهذا لا يغير المعنى الذي أراد ابن الخطيب بل يؤكده، إذ أن النية هي البناء، لكن الأهم من هذا كله هو وصف المقري صراحة لهؤلاء المعتدين في مكناسة، المنتزعين من الناس لباسهم، بكونهم لصوصا وقطاع طرق حيث قال: "على أن ضواحيها [مكناسة] كانت في زمان لسان الدين مأوى للمحاربين واللصوص، ومثوى للأعراب الذين أعضل داؤهم بأقطار المغرب على العموم والخصوص"[56].

ومن الرحالة الذين كانت لهم حكايات مع اللصوص ومعاناة جراء نزع ثيابهم، هناك الحسن الوزان الذي تعرض للتجريد من ثيابه على يد اللصوص[57] خلال رحلته بين فاس وتافيلات، بل طالبوه بخلع حتى القميص رغم البرد القارس آنذاك، لأن الرحلة كانت في شهر أكتوبر، وعملية التجريد هاته وقعت في مرتفعات الأطلس الباردة[58]، كما يحكي الوزان عن معاناة كل المسافرين الذين لا بد أن يجردوا من لباسهم على يد قطاع الطرق إذا مروا ببعض المواضع المخوفة، والتي مر بها في رحلته، وخاصة الطريق من المغرب إلى المشرق، حيث صادف في إفريقية جماعات ممن احترف قطع الطريق "يتربصون في الكمائن، حتى إذا مرّ بهم مسافر خرجوا وجردوه من المال والثياب"[59]، ثم يتحدث عن جماعات من البدو والظاعنين في "الصحاري الواقعة بين بلاد البربر ومصر[كانوا] يجردون كل غريب وقع بين أيديهم"[60]، وهو السلوك نفسه الذي دأبت عليه جماعات اللصوص والمحاربين في صحراء برقة، الذين "يجردون الحجاج المساكين وأبناء السبيل من ثيابهم"[61]، وإذا كان تجريد الحجاج والتجار والمسافرين في رحلاتهم المختلفة على يد اللصوص وقطاع الطرق أحداث واقعة في تاريخ المغرب لا محالة، بحسب ما وصلنا من روايات - على قلتها وعلتها- فإنها تُنْبئ بأهمية اللباس والحاجة إليه، وخاصة عند هذه الجماعات الهامشية، مما كان يلجئها إلى انتزاعه بالقوة من على أجساد الضحايا المسروقين، لكن تطلعنا في المقابل على مدى خوف المسافرين على لباسهم وعرضهم، ومعاناتهم في سبيل ستر سوءاتهم، مما يدعونا للتساؤل عن كيف كان يكْمل المسافر رحلته بعد تجريده من لباسه؟ وهل كان يكمل حقا تلك الرحلة أم يعود أدراجه إلى الأهل والديار؟

ومن جملة تلك الحالات أيضا نذكر ذاك التاجر الذي احترق متاعه في قيسارية فاس، ففر إلى مراكش تاركا عياله وزوجته، وبعد أن استقر بمراكش وامتهن حرفة الدلالة بقيساريتها، ثم سمع أن زوجته وأولاده قد وصلوا من فاس إلى أغمات بحثا عنه، وهو في ذلك يقول مشتكيا لأحد الأولياء[62]: "فخرجت من مراكش لأتلقاهم، فاستعرت فرسا ألقاهم عليه فلقيني عبيد فنزعوا مني الفرس، وسلبوني أثوابي وفروا"[63]، فمثل هذه الأحداث لا بد أنها كانت كثيرة في أحواز مراكش، إذ لا يمكن لهؤلاء العبيد وغيرهم من

---

[56] - المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 6، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ص..214

[57] - هم في الأصل رجال مسؤولون عن تأمين القافلة، لكن تحولوا في بعض مضاييق جبال الأطلس إلى لصوص حيث عزلوا الحسن الوزان عن القافلة وجردوه من ثيابه بحثا عن الدنانير، وصف إفريقيا، م س، ج 1، ص. 73-74.

[58] - الوزان، ن م، ج 1، ص. 73-74

[59] - ن م، ج 1، ص. 47

[60] - الوزان، ن م، ج 1، ص. 65

[61] - ن م، ج 2، ص. 112

[62] - هو أبو علي حسن بن عبد الله الأندلسي المعروف بابن يابو من أهل أغمات وريكة وبها مات عام604هـ، ابن الزيات، م س، ص. 392

[63] - ن م، ص. 393

[64] - تجريد المصلين من لباسهم، ابن الزيات، ن م، ص. 383

[65] - انظر ترجمته، ن م، ص. 308- 309.

[66] - ن م، ص. 309، انظر بقية القصة، ص. 309، وفيها من المغامرات والإكراهات الشيء الكثير، للتدليل على كرامات الشيخ من جهة وجرأة اللصوص وإصرارهم من جهة ثانية.

[67] - عبد الأحد السيتي، م س، ص. 26

[68] - ابن عذاري، م س، ق م، ص. 266، الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، ج 2، تح، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م، ص. 227.

- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط، ط 2، 1420 هـ/ 1999م

- ابن تيمية تقي الدين، السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الكتاب العربي، 1969

- ابن تجلات أبو عبد الله، إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين، ج 2، تح، محمد رابطة الدين، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية، 1986م

- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، م 6، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت لبنان، 1983م

- ابن الخطيب، لسان الدين، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، سنة 1985م

- ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تح أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 2، 1997م

- ابن فرحون، برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ج 2، خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه، الشيخ جمال عشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1416هـ/1995م

- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح، محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، س. 8، ق.

- ابن عسكر، محمد الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح، محمد حجي، ط 2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م

- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح محمد إبراهيم الكتاني ـ محمد بن تاويت ـ محمد زنيبر ـ عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1406هـ/ 1985م

- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب ، المجلد السابع، دار صادر، بيروت، د ت.

- البادسي عبد الحق، المقصد الشريف والمنزع اللطيف، في التعريف بصلحاء الريف، تح سعيد أحمد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1982

وكذلك حين حديثه عن قبيلة إدا وبلال في منطقة درعة جنوب المغرب، والتي كان نشاطها يزاوج بين حماية القوافل تارة، ونهبها تارة أخرى، حسب روايته، وصف لنا كيف كان فرسان هذه القبيلة يخرجون كل يوم للاستطلاع والتجسس، فإذا رأى أحدهم مسافرين أو قافلة سارع إلى إخبار بقية المقاتلين لملاحقتها، فيستولون على السلع، ويسلبون الرجال ويجردونهم من لباسهم، ثم يطلق سراحهم على شرط، وهو أن يكون هؤلاء الضحايا إما يهودا، أو من مناطق بعيدة أو ضعيفة، أما إذا كانوا عكس ذلك أو من قبيلة قريبة وقوية يخشى انتقامها وردّ فعلها، فكانوا يقتلون مباشرة بعد تجريدهم، وذلك كي لا ينتشر الخبر ويفتضح أمرهم.

FOUCAULD, Ibid, pp. 154-157.

[74]- الزجالي، أمثال العوام، م س، ج2، ص. 231

المتشابهة، مثل تعرض الشيخ عبد الله الكوشي[69] للقتل على يد لصوص أنجاد، بعد نزع ملابسه وذلك سنة 960هـ/1552-1553م[70]، وهو نفس المصير الذي لقيه عبد القادر الفاسي[71] ورفاقه على يد عصابة سنة 1091هـ /1680م، وذلك على بعد نحو مرحلة من فاس[72] وكذلك يؤكد شارل دوفوكو على استمرار وترسخ هذه العادة عند أولئك الممتهنين للصوصية وقطع الطريق في بلاد المغرب حتى نهاية القرن التاسع عشر(19م)، وذلك في أكثر من موضع مر به في رحلته ببلادنا[73].

خلاصة

وهكذا كان فعل المحاربين واللصوص يجمع بين سرقة المال كيفما كان نوعه وحجمه والعنف مع ما عرف عند فقهاء العصر في أحكامهم ونوازلهم بحوادث التدمية، و"زيادة في السلب"[74] كما قال العوام في أمثالهم، ومبالغة في العنف الرمزي والنكاية، كان المسافر بعد كل هذا يجرد من ثيابه، حتى صار هذا الفعل الأخير يطلق عند الناس، واستمر ذلك إلى عصرنا الحالي، على كل أفعال السرقة، فتسمع بين الفينة والأخرى عند أهل المغرب عبارة متداولة بلغتهم الدارجة؛ أن فلان "عرّاوه أو كشطوه" اللصوص، كناية عن تعرضه لعملية سرقة ونهب استأصلت ماله وحاله، وبذلك صار الجزء يطلق على الكل، مما يدل على ترسخ هذا الفعل في أذهان المغاربة جيلا بعد جيل، وذلك لاقتران عملية السرقة وقطع الطرق غالبا بتجريد الضحايا المسروقين من ثيابهم حتى أصبحت عادة.

مما يؤكد أن لصوصية الأمس لا تختلف عن لصوصية اليوم، سواء من حيث عواملها المسببة، أو تجلياتها الظاهرة، أو آثارها المادية والنفسية على الفرد والمجتمع، وأن الحاجة إلى ضروريات الحياة إن لم تُسد بطرقها المشروعة التي تضمن للناس كرامتهم وتحفظ للمجتمع ماء وجهه، فإنها لا بد أن تُحصّل بطرق الكسب غير المشروعة من طرف كل من استطاع إلى ذلك سبيلا، ولذلك فإن حسم الداء يكون باستئصال جدوره، وليس عبر مسكنات ظرفية في الزمان والمكان، أي أن القضاء على ما يكدر صفو الحياة الإنسانية وأمن وسلامة وطمأنينة المجتمع لا يتأتى إلا بكفّ الفقراء والمهمشين والمعدمين وذوي الجرأة على حدود الشرع والعرف عبر توفير سبل العيش الكريم والقضاء على مظاهر التفاوت الاجتماعي الصارخ.

ببليوغرافيا

المصادر

[69] - أنظر ترجمته، ابن عسكر، محمد الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح، محمد حجي، ط 2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م، ص. 110-111.

[70] - الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس، ج2، تح، محمد حمزة بن علي الكتاني، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004م، ص. 327، ابن عسكر، ن م، ص. 110-111،

[71] - أنظر ترجمته عند الكتاني، ن م، ج 1، ص. 310.

[72] - ن م، ن ص.

[73] - يتحدث شارل دوفوكو عن تجريد المسافرين وأصحاب البريد من ثيابهم، بل وحتى طلبة القرآن، شمال المغرب في الطريق بين مدينتي تطوان وفاس. FOUCAULD, op.cit, p 1 4.

- الخويي، أبو يعقوب يوسف بن طاهر، فرائد الخرائد في الأمثال ، معجم في الأمثال والحكم النترية والشعرية، تح، عبد الرزاق حسين، دار النفائس، الأردن، د ت.

- السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد، رسالة في آداب الحسبة، نشر ليفي بروفنسال، مكتبة إرنيست، باريس، المؤسسة المغربية للدراسات العليا

- الصومعي أحمد التادلي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تح علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996

- الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس، ج2، تح، محمد حمزة بن علي الكتاني، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004م

- الماوردي أبو الحسن بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978

- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 6، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م

- الزجالي، أبو يحيى عبد الله بن أحمد القرطبي، أمثال العوام في الأندلس، ج 2، تح، محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، د ت

- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، ج 2، تح، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م

- الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ج ،1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 2، 1983م

- الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج 6، 8، 9، 11، إشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1981م

المراجع

- أحمد المحمودي، عامة المغرب، م س، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية، 1999 - 2000م.

- إسماعيل محمود، المهمشون في التاريخ الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، المكتبة الوطنية للمملكة الوطنية، 2004

- السبتي عبد الأحد، بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، دار توبيقال للنشر، ط 1، 2009م

- بوتشيش، القادري إبراهيم، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء، دارالطليعة، بيروت، ط 1، 1993م.

الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 1998م، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، السنة الجامعية، 1990 - 1991م.

- طريفي محمد نبيل، ديوان اللصوص في العصر الجاهلي والإسلامي، ج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1990

- مصطفى نشاط، جوانب من تاريخ المشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات الزمن، 2006م

- فتحة محمد ، النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6 إلى 9 هـ / 12 - 15م، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، 1999م. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، السنة الجامعية، 1995م.

- أحمد عزاوي، مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي، ج 1، دار ربا نيت، ط 3، 1433هـ / 2012م

- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية

- FOUCAULD, Vicomte Charles de, **Reconnaissance au Maroc,1883-1884**, Challamel et C^{IE}, Éditeurs, Librairie Coloniale, Paris, 1888, 2 vols

- F. BRAUDEL**, La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philipe 2**, 2t, Armand Coline, Paris, 1970

- Tàhir as Sadafi**, As sirr al Masùn Fi Ma Ukrima Bihi al-Muhlisun**, Edition critique et analyse, Halima Ferhat, DAR AL-GHARB AL-ISLAMI, Beyrouth, 1998.